وَخُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْخُضْرَةِ الَّتِي
أَرَتْكَ ٱحْمِرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّمْلِ[١]
أمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ
فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي[٢]
وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطِرْفِي وَذَابِلِي
نَكُنْ وَاحِداً يَلْقَى الْوَرَى وَٱنْظُرَنْ فِعْلِي[٣]

إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وقال في صباه يمدح سعيد بن عبد اللّٰه بن الحسن الكلابي المنْبِجي:

[البسيط]

أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا
وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا[٤]

= هذا بأن همّته العالية شيء من مقبض السيف، وهما يشتركان مضاءً وحِدّة، فالقوّة لديه ناتجة عن شدّة ضربه كالسيف الصقيل الشديد المضاء.

(١) خضرة ثوب العيش: الصحة ورغادة العيش. ويقصد بالخضرة الثانية: خضرة السيف. مدرج النمل: مدبّه الشديد الخفاء. يرى الشاعر أن الغنى ورفاهية العيش لا يحصلان إلّا بالشجاعة واستعمال السلاح بحذر شديد لكسب الصولة.

(٢) أمِط: أزل، اكشف. عنجهيّة وتكبّر من صفات المتنبي، فإنه يرى أنه لا يُشبهه أحد من البشر، وهو فوق الجميع، لما لديه من صفات تؤهّله لتبوّء المراتب العالية الرفيعة.

(٣) ذرني: اتركني. الطرف: الفرس. الذابل: الرمح. الورى: البشر. يُردف الشاعر قوله طالباً ممن يُثبّط عزيمته أن يتركه وشأنه، ومعه سيفه وفرسه ورمحه؛ وذلك اكتمال عناصر الشكل الفروسي لدى الفارس الحقّ، عندئذٍ يرى البشر أفعاله على حقيقتها في حال صدقه وصدق عزيمته، وإلّا فسوف ينكشف زيف ادّعائه وكذبه.

(٤) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري: ١: ٢٣٠. مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ١٥. البين: الفراق والهجر. يستغرب الشاعر أنه لا يزال على قيد الحياة، رغم معاناته الشديدة؛ فأقلّها قاتل وفراق الأحبَّة زاد آلامه فلم يعدل وقد جار عليه.

وَٱلْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَداً
وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحِلَا[١]
لَوَلَا مُفَارَقَةُ ٱلْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ
لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا[٢]
بِمَا بِجَفْنَيْكِ مِنْ سِحْرٍ صِلِي دَنِفاً
يَهْوَى ٱلْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتِ فَلَا[٣]
إِلَّا يَشِبْ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ
شَيْباً إِذَا خَضَّبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلَا[٤]
يَجِنُّ شَوْقاً فَلَوْلَا أَنَّ رَائِحَةً
تَزُورُهُ فِي رِيَاحِ الشَّرْقِ مَا عَقَلَا[٥]

---

(١) الوجد: شدّة الشوق. النوى: البعد والهجر، إن حزن الشاعر يزداد باطّراد مع مرور الزمن، وجسمه يدبّ فيه النحول لفقده القدرة على الصبر والثبات.

(٢) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٢٣١، مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٢٢٢، معاهد التنصيص، للعباسي ٢: ١٢٨. المنايا، الواحدة منيَّة: الموت. يرى الشاعر أن من أسباب موت البشر فراق الأحبَّة، فلولا ذلك ما وجد الموت لدى البشر طريقاً.

(٣) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٢٣٣. الدنف: من أتعبته شدّة المرض. يُخاطب الشاعر حبيبته أن تصل من أحبّها، وقد أقسم عليها بسحر جفنيها؛ فحبّه وتعلّقه في الحياة بوصالها، وإن لم تفعل فليس للحياة طعم، ففي عينها سحر جذّاب يُخضع الرجال ويستحوذ على قلوبهم.

(٤) خضبته: صبغته بالحِنَّاء. نصل الخضاب: ذهب صباغه. السلو: رضى الحبيب عن حبيبه. يصف الشاعر ما يُعانيه، وهو لا يزال في ميعة الصبا، ورغم ذلك فقد شاب كبده، ورغم محاولة إخفاء ذلك الشيب فسرعان ما يتبخّر الخضاب ويسود الشيب كبده.

(٥) يروى «يُجنّ» بدلاً من «يجِنّ». والجنون ينزل بساحة ذلك المدنف لشدّة شوقه لحبيبته، ولولا أن الرياح تحمل إليه رائحة حبيبته لذهب عقله وضاع رشده، وهذا ما يُخفّف بلواه.

هَـا فـٱنْـظُـرِي أَوْ فَـظُـنِّـي بِـي تَـرَيْ حُـرَقـاً
مَـنْ لَـمْ يَـذُقْ طَـرَفـاً مِـنْـهَـا فَـقَـدْ وَأَلَا[١]
عَـلَّ ٱلْأَمِـيـرَ يَـرَى ذُلِّـي فَـيَـشْـفَـعَ لِـي
إِلَـى الَّـتِـي تَـرَكَـتْـنِـي فِـي ٱلْـهَـوَى مَـثَـلَا[٢]
أَيْـقَـنْـتُ أَنَّ سَـعِـيـداً طَـالِـبٌ بِـدَمِـي
لَـمَّـا بَـصُـرْتُ بِـهِ بِـالـرُّمْـحِ مُـعْـتَـقِـلَا[٣]
وَأَنَّـنِـي غَـيْـرُ مُـحْـصٍ فَـضْـلَ وَالِـدِهِ
وَنَـائِـلٌ دُونَ نَـيْـلِـي وَصْـفَـهُ زُحَـلَا[٤]
قَـيْـلٌ بِـمَـنْـبِـجَ مَـثْـوَاهُ وَنَـائِـلُـهُ
فِـي ٱلْأُفْـقِ يَـسْـأَلُ عَـمَّـنْ غَـيْـرَهُ سَـأَلَا[٥]

---

(١) ها: حرف تنبيه. وأل: نجا. يُخاطب الشاعر حبيبته طالباً منها أن تنظر إليه وتفكّر بما هو عليه من حالة وبما سيؤول إليه حاله، ففي قلبه جوًى من حبّها قد يقضي عليه؛ ومن حسن حظّ من لم يُبتل بالحبّ راحة باله.

(٢) ومن حسن التخلّص والانتقال من مطلع غزلي إلى المدح أن أدخل الشاعر ممدوحه ليكون واسطة خير بين الشاعر ومحبوبته التي جعلت منه مثلاً يُضرب على معاناة المحبين.

(٣) اعتقل الرمح: جعله بين ركابه وساقه. نظر الشاعر إلى ممدوحه وقد لبس سلاحه واعتقل رمحه، فأيقن أنه لا بدّ آخذ بثأره من تلك التي أودت بحياته من أجل حبّه لها.

(٤) يروى «فضل نائله» بدلاً من «فضل والده». النائل: العطاء. زُحل: كوكب سيّار. أحصى: عدّ. وكذلك أن يقين الشاعر بأن الممدوح سوف يمنحه عطاءً كثيراً، ولكثرته فإنه لن يستطيع إحصاءه وقد يدرك الوصول إلى زُحل ذلك النجم البعيد قبل الانتهاء من عدّ نواله.

(٥) القيل: الملك، أو من كان رئيساً دون الملك. منبج: إحدى مدن بلاد الشام. المثوى: المنزل. الأفق: القطر والناحية. يذكر الشاعر غُرّة ملك ممدوحه؛ فهو يسكن منبجاً، ولكن صيته طار في الآفاق فإذا بطالبي رفده يتوافدون عليه ليحصلوا على ما يُحبّون ولم يقصدوا غيره.

يَـلُـوحُ بَـدْرُ الـدُّجَـى فِـي صَـحْـنِ غُـرَّتِـهِ
وَيَـحْـمِـلُ الْـمَـوْتُ فِي ٱلْـهَـيْـجَـاءِ إِنْ حَـمَـلَا(١)

تُـرَابُـهُ فِـي كِـلَابٍ كُـحْـلُ أَعْـيُـنِـهَـا
وَسَـيْـفُـهُ فِـي جَـنَـابٍ يَـسْـبِـقُ الْـعَـذَلَا(٢)

لِـنُـورِهِ فِـي سَـمَـاءِ الْـفَـخْـرِ مُـخْـتَـرَقٌ
لَـوْ صَـاعَـدَ الْـفِـكْـرُ فِـيـهِ الـدَّهْـرَ مَـا نَـزَلَا(٣)

هُـوَ ٱلْأَمِـيـرُ الَّـذِي بَـادَتْ تَـمِـيـمُ بِـهِ
قِـدْمـاً وَسَـاقَ إِلَـيْـهَـا حَـيْـنُـهَـا ٱلْأَجَـلَا(٤)

لَـمَّـا رَأَوْهُ وَخَـيْـلُ الـنَّـصْـرِ مُـقْـبِـلَـةٌ
وَالْـحَـرْبُ غَـيْـرُ عَـوَانٍ أَسْـلَـمُـوا ٱلْـحِـلَـلَا(٥)

وَضَـاقَـتِ ٱلْأَرْضُ حَـتَّـى كَـانَ هَـارِبُـهُـمْ
إِذَا رَأَى غَـيْـرَ شَـيْءٍ ظَـنَّـهُ رَجُـلَا(٦)

---

(١) الغرّة: الجبهة. الهيجاء: الحرب. يمدح الشاعر ممدوحه بجمال الخِلقة، فهو بدر يُبدّد ظلمة الليل، وهو شجاع يؤيّده الموت في حملته على أعدائه، فيصولان عليهم فيقتلانهم.

(٢) ينتمي الممدوح إلى قبيلة؛ أبناؤها يتحلّون بالتراب الذي يمشي عليه فخراً به وحبًّا له، وأما جناب فقبيلة عدوّة وقد سلّط عليها سيفه، وهو لا يعتذر عن قتل أميرهم.

(٣) المخترق: المعبر، ويقصد بذلك أن الممدوح يقدر على اختراق حاجب المكان فيصعد في سماء العظمة ويخلد، لذا فإنه يسبق الفكر وهو نور شاع ذكر كرمه ورجاحة عقله يفيء إليه الناس يلتمسون رِفده ورجاحة عقله.

(٤) بادت: فنيت. قدماً: منذ القدم. الحين: الأجل، لقد أفنى الممدوح قبيلة تميم، فلم يعد يقوم لهم ذكر، لقد نزل بهم الأجل قبل ميعاده.

(٥) و (٦) الحرب العوان: الحرب المستمرّة تتوالى فيها الغارات بين عدوّين. يروى «لما رأته» بدلاً من «لما رأوه». ومن شدّة خوف بني تميم رحلوا تاركين ديارهم لما رأوا طلائع خيله تقصدهم، نجاةً بأنفسهم، ولشدّة خوفهم فهم يتطلّعون إلى الوراء مخافة اللحاق بهم، وأي شيء يراه أحدهم يظنّ أنه رجل يلاحقه.

فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ
بِالْخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطِّفْلِ مَا سَعَلَا[١]
فَقَدْ تَرَكْتَ ٱلْأُلَى لَاقَيْتُهُمْ جَزَراً
وَقَدْ قَتَلْتَ ٱلْأُلَى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَلَا[٢]
كَمْ مَهْمَهٍ قَذَفٍ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ
قَلْبُ ٱلْمُحِبِّ قَضَانِي بَعْدَمَا مَطَلَا[٣]
عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرْفِي فِي مَفَاوِزِهِ
وَحُرَّ وَجْهِي بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذْ أَفَلَا[٤]
أَوْطَأْتُ صُمَّ حَصَاهَا خُفَّ يَعْمَلَةٍ
تَغَشْمَرَتْ بِي إِلَيْكَ السَّهْلَ وَٱلْجَبَلَا[٥]

(١) اللهوات، مفردها لهاة: لحمة في الحلق عند أصل اللسان. يُتابع الشاعر تصوير خوف بني تميم من ممدوحه؛ فالخيول تعدو مسرعة بفرسانها، ومن شدّة خوفهم لا يجسر الطفل الصغير أن يُحدث صوتاً، فكيف بالكبار منهم؟ وهم أصحاب عقول ويستطيعون الدفاع عن أنفسهم ويقول صاحب الوساطة، صفحة ٩٧: «فهو كما تراه سخافة وضعف، ولو تصفّحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكره من هذه الإشارة».

(٢) الجزر: ما يُلقى من لحوم إلى السباع. الوجل: شدّة الخوف. يصف الشاعر ممدوحه بأنه يُفني بسيفه أعداءه فيتركهم جزر السباع، أما الأحياء منهم فيموتون أيضاً من شدّة بطشه.

(٣) المهمه: الفلاة القفراء. القذف: المترامية الأطراف. يفخر الشاعر بشجاعته؛ فهو يُواجه الأخطار في طرق وعرة المسالك، ثابت الجنان لا يعرف للخوف معنى، وفي نفسه شوق للمثول أمام ممدوحه كمن أحبّ لقاء حبيبه.

(٤) المفاوز، الواحدة مفازة: الفلوات المترامية الأطراف، الطرْف، بسكون الراء: النظر. حرّ الوجه: ما يبدو منه. أفل: غاب. يستهدي الشاعر بالنجم في رحلته إلى ممدوحه ليلاً، وفي النهار يُواجه الشمس قاطعاً المسافات الشاسعة حتى وصل إلى بُغيته.

(٥) يروى «أنكحت» بدلاً من «أوطأت». الصمّ: القساة الشداد. اليعملة: الناقة العظيمة. تغشمرت: أسرعت على غير هدًى، رحلة المخاطر الصعبة، حمّل ناقته المشاق وقطعت المسافات فراحت تدكّ الحصى بأخفافها، وسالت في السهول واخترقت الجبال بقوّة حتى نزلت بساحة الممدوح.

لَوْ كُنْتَ حَشْوَ قَمِيصِي فَوْقَ نُمْرُقِهَا
سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِي غِيطَانِهَا زَجَلَا[١]
حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسٍ مَاتَ أَكْثَرُهَا
وَلَيْتَنِي عِشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَلَا[٢]
أَرْجُو نَدَاكَ وَلا أَخْشَى ٱلْمِطَالَ بِهِ
يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا[٣]

العباد في رجل

وقال في صباه ارتجالاً وقد أهدى له عبيد اللّه بن خلكان من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل:

[المنسرح]

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ ٱلْأَمَلِ
وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فِي شُغُلِ[٤]
تَمَثَّلُوا حَاتِماً وَلَوْ عَقَلُوا
لَكُنْتَ فِي ٱلْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ[٥]

---

(١) حشو قميصي: في مكاني. النمرق: الوسادة يتكئ عليها المسافر. الغيطان، الواحد غائط: المطمئن من الأرض، الزجل: الجلبة والضجّة. يُخاطب الشاعر ممدوحه مصوّراً ما بذله من مجهود حتى مَثُلَ بين يديه، فقد قطع المفاوز القفراء، وموسيقى الجنّ المرعبة تصكّ الآذان.

(٢) أخيراً وصل الشاعر إلى ديار الممدوح، وهو على آخر رمق، فقد تلف نصفه، وما بقي منه فهو يتمنّى أن يحيا به ليقضيَ حقّ الممدوح من الكرامة.

(٣) الندى: العطاء. المِطال: التسوّف. يُعلن الشاعر عن سبب مثوله بين يدي ممدوحه؛ إنه يطلب العطاء، وممدوحه غني كريم، فلو أعطاه الشيء الكثير فقد بخل.

(٤) و (٥) يعيش الناس، وفي نفوسهم آمال عِراض يحلمون بتحقيقها دون السعي في سبيلها لتكون حقيقة وواقعاً سوى اللجوء إليك، والممدوح دائم السعي وراء تحقيق أمانيه وأحلامه العِراض. وهؤلاء اتّخذوا حاتماً الطائيّ نموذجاً أعلى للكرم، ولو نظروا نظرة العقلاء لتمثّلوا بك لعظيم كرمك وكثرة جودك.